

التدخل الإيراني في الأزمة السورية: الدوافع والمآلات *Iranian intervention in the Syrian crisis: motives and expectations*



طرد دادسي عبدالباسط¹، د. فوكة سفيان²

¹مخبر الدراسات السياسية والدولية-جامعة بومرداس

a.dads@univ-boumerdes.dz

²كلية الحقوق والعلوم السياسية-مخبر الدراسات السياسية والدولية-جامعة بومرداس،

s.fouka@univ-boumerdes.dz



تاريخ النشر: 2023/05/31

تاريخ القبول: 2020/11/23

تاريخ الإرسال: 2020/03/14

ملخص:

تشكل سوريا جزءا أساسيا من اهتمامات السياسة الخارجية الإيرانية في الشرق الأوسط، فطهران التي رحبت بثورات العالم العربي واعتبرتها فرصة جديدة للمنطقة سرعان ما نددت بالانتفاضة السورية عندما استهدفت الاحتجاجات الشعبية نظام دمشق، لنقرر إيران دعم النظام السوري القائم بكل الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية المتاحة، إن نوايا إيران واضحة ومواقفها ثابتة من الأزمة الدائرة ويتجلى ذلك في المحاولات المكثفة للحفاظ على اسمرارية النظام السوري القائم أطول وقت ممكن، مع وضع شروط تحتفظ بقدرتها على استخدام الأراضي السورية ومتابعة مشاريعها الإقليمية.

كلمات مفتاحية: الأزمة السورية، المشروع الفارسي، التدخل الدولي، الشرق الأوسط.

Abstract:

Syria represents a key part of Iran's foreign policy in the Middle East, Tehran initially welcomed the Arab Spring revolutions and considered them a new opportunity for the Arab countries. However, it quickly condemned the Syrian uprising when popular protests targeted a regime in Damascus, Iran did not hesitate, but decided to support

Bashar Al-Asad's regime with all available military and economic political means, Iran's intentions are clear and its positions are firm on the Syrian crisis.to keep Syrian President Bashar al-Assad in power for as long as possible, with conditions that maintain its capacity to use Syrian territory and pursue its regional projects .

Keywords: *The Syrian crisis, the Persian project, international intervention, the Middle East.*

1- المؤلف المرسل: د.سفيان فوكة، الإيميل: s.fouka@univ-boumerdes.dz

مقدمة:

نظرا للخلافات المستعصية بين إيران والدول العربية فإنه كان متوقعا من سوريا ذات التوجهات القومية أن تتخذ موقفا معاديا من الإستراتيجية الإيرانية في المنطقة وهنا مكمّن المفارقة؛ فعكس عداء العراق البعثي والإمارات والبحرين والمملكة العربية السعودية نشأ التحالف الإيراني السوري وأثبت أنه واحد من أكثر التحالفات مرونة في واحدة من المناطق الأكثر تقلباً في العالم!

لقد بات جليا الدور الحاسم لإيران في المنطقة ليس فقط في مجرى الأحداث الجارية في سوريا، وإنما منذ التطورات التي حدثت في إيران من "الثورة الإسلامية" و"الحرب الإيرانية العراقية" وهذا التأثير مرشح لأن يستمر على المدى المتوسط والبعيد في المنطقة عموما وفي الأزمة السورية خصوصا ما دامت علاقة إيران مع الجهات الفاعلة الرئيسة بما في ذلك روسيا وحزب الله ودول الخليج والنظام السوري ستتأثر حتما بنتائج الصراع.

لا يمكن إدراك الأهمية الإستراتيجية لإيران في الأزمة السورية دون فهم الصراعات السياسية والثقافية والدينية في المنطقة وكيف يتم تفسيرها ومعالجتها

في مختلف الأنساق الفرعية الإيرانية أكانت سياسية أم اجتماعية، ومما تقدم نطرح الإشكالية التالية:

ما هي الخلفيات والمصالح التي تدفع بإيران للتدخل في الأزمة السورية؟ وما هي النتائج المحتملة لهذا التدخل؟

للإجابة على هذه الإشكالية نطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية على الشكل التالي:

- لما ترفض طهران انتفاضة سوريا مقابل تأييدها للإنتفاضات العربية؟
 - ماهي أشكال الدعم الإيراني للنظام السوري؟
 - ما هي الإستراتيجية الإيرانية في الأزمة السورية؟
 - هل المصالح الإيرانية في سوريا جغرافية سياسية أم إيديولوجية؟
 - كيف يؤثر التحالف الإيراني السوري على العلاقات الإيرانية العربية في الشرق الأوسط؟
- في هذا السياق تفترض هذه الدراسة ما يلي:

- كلما أدرك صانع القرار الإيراني أن سقوط النظام السوري هو بمثابة تراجع لدور إيران الإقليمي لصالح السعودية وتركيا كلما زاد دعمه له.
- كلما استغلت إيران من خلال التدخل في الأزمة السورية تغيير البنية الديمغرافية في المنطقة كلما ضمنت استمرار نوافذها مستقبلا.
- الأزمة السورية في إدراك صانع القرار الإيراني هي صراع قوى دولية هي الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وقوى الإقليمية هي إيران مقابل السعودية وتركيا.

ستتم الإجابة على هذه الإشكالية وما يتفرع عنها من أسئلة إضافة الى اختبار الفرضيات عبر المحاور الثلاثة التالية:

المحور الأول: التدخل العسكري الإيراني في سوريا؛ الأشكال والمبررات
المحور الثاني: طهران تساند دمشق، طبيعة التحالف وأشكال الدعم

المحور الثالث: خلفيات التدخل الإيراني في سوريا؛ المصالح والاهداف

1. المحور الأول: التدخل العسكري الإيراني في سوريا؛ الأشكال والمبررات

تحوّلت السياسة الخارجية للدولة الإيرانية منذ انتصار الثورة الإسلامية بقيادة "الخميني" العام 1979 لتقوم على جملة من المبادئ المعلنة في دستور الجمهورية الإسلامية ومن بينها مبدأ التدخل الخارجي القائم على أساس "المعايير والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين، والحماية الكاملة لمستضعفي العالم" الذي تشير إليه المادة الثالثة من الفصل الأول المعنون بـ "الأصول العامة"، ويتكرر التأكيد على هذه المبدأ في محتوى المادة الرابعة والخمسون بعد المائة في الفصل العاشر الموسوم "السياسة الخارجية" حيث تتضمن هذه المادة أن "جمهورية إيران الإسلامية تعتبر سعادة الإنسان في المجتمع البشري كله قضية مقدسة لها، وتعتبر الاستقلال والحرية وإقامة حكومة الحق والعدل حقاً لجميع الناس في أرجاء العالم كافة، وعليه فإن جمهورية إيران الإسلامية تقوم بدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم، وفي الوقت نفسه لا تتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى"⁽¹⁾.

لطالما ارتأت إيران أن الثورة الإسلامية حققت الدولة المنتظرة وعلى العالم الإسلامي السير على خطاها، وفي سبيل ذلك على الجمهورية الإسلامية القيام بتصدير ثورتها والوقوف مع المستضعفين في العالم الإسلامي سواء من قبل حكامهم أو من قبل الغرب واتباعه، ان فكرة تصدير الثورة وتعميمها جعل العديد من دول الجوار تتوجس خيفة من نظام طهران الرامي للهيمنة على المنطقة بطرق شتى فبعد فشل المواجهة العسكرية مع العراق (1980-1988) انتهجت إيران طرقاً أخرى لتصدير ثورتها تمثلت في الغزو الناعم من جهة والاعتماد على خلاياها النائمة من جهة أخرى، والملاحظ أيضاً في سياسة إيران الخارجية موقفها تجاه الأحداث الجارية في سوريا ودعمها المتعدد الأشكال

للنظام السوري القائم عن طريق اشكال متعددة من ابرزها عدوة ايران لتبني التدخل العسكري.

من خلال تتبع ورصد التدخل العسكري للنظام الإيراني في الصراع الدائر في سوريا يتبين لنا اتخاذه شكل الدعم والإسناد كما نلاحظ نموه التدريجي في شتى المجالات من تقديم الدعم الاستراتيجي والتقني لقوات النظام السوري ضد المعارضة للسيطرة الكلية على الاستراتيجية العسكرية إضافة الى المشاركة في توجيه الحملات العسكرية الرئيسية للنظام السوري.

1.1. الدعم العسكري الغير مباشر:

قدمت إيران مساعدات عسكرية للنظام السوري منذ الأيام الأولى للأزمة التي عرفها البلد إلا أنها كانت محدودة نسبيا في المراحل الأولى من الصراع، أهمها إرسال عدد من ضباط الجيش الإيراني -تحديدا من جناح مشاة النخبة في الحرس الثوري الإيراني وقوات القدس- لتوفير الدعم التقني للقوات السورية، اضطلع هؤلاء الضباط بمهمة تشكيل مجموعات شبه عسكرية محلية ونشر مليشيات شيعية إلى جانب قوات حزب الله في سوريا؛ بيد أن محدودية تعدادها جعلها غير كافية لتنفيذ العمليات الأرضية المطلوبة من طرف الخبراء العسكريين الإيرانيين، فعمدت إيران إلى نشر أفراد من "القوات البرية" أو ما يعرف "بالحرس الثوري الإيراني"⁽²⁾.

بدايات العام 2011 شكل الحرس الثوري -إلى جانب الاستخبارات الإيرانية- بعثة استشارية لمساعدة النظام السوري على مواجهة الأزمة عند انطلاقها، لقد وظفت إيران قادة "قوات القدس" للإشراف على توجيه العمليات العسكرية في المناطق الحضرية ومواجهة حرب العصابات⁽³⁾، وفي واحدة من الخطوات الإيرانية الأولى لإسناد النظام السوري تم إنشاء وتجنيد "الجبهة الوطنية الديمقراطية" وهو ما بات يعرف بين السوريين "بالشبيحة" كاستساخ لأنموذج "الباسيج الإيرانية" الموظفة في قمع الحركات المنشقة في إيران⁽⁴⁾.

2.1. الدعم العسكري المباشر

يعتمد النظام السوري إعتدماً كبيراً على الميليشيات الموالية له منذ بداية الصراع، ومع الإستنزاف الذي تعرض له الجيش العربي السوري برزت أهمية هذه القوات الشبه العسكرية، وتأثيرها على عملية صنع القرار المتعلقة بالصراع خاصة في السنوات الأولى من الأزمة، فقد لعب الوكلاء والشركاء الإقليميون المتمثلون في "حزب الله اللبناني" و"المليشيات الشيعية العراقية" لإيران دوراً بارزاً في الصراع في محاولة ضمان المصالح المتبادلة⁽⁵⁾.

لقد أعلنت القيادة الإيرانية أن الربيع العربي يمثل "ميلاداً لحقبة إسلامية جديدة في منطقة الشرق الأوسط مقابل زوال الأنظمة الموالية للغرب" ... إلا أن اندلاع الإحتجاجات في سوريا أدى بطهران لتقديم الدعم السياسي والعسكري الكامل للناظم السوري، فأيران تعتبر أنه لا وجود لضمانات لمصالحها في حال وصول نخبة جديدة للحكم في دمشق⁽⁶⁾.

في المراحل المبكرة للنزاع إقتصرت الدور الإيراني على تقديم الدعم التقني والمالي للنظام السوري، في أواخر العام 2012، لعبت إيران دوراً حاسماً في خلق الجبهة الوطنية للدفاع وحشد مائة ألف (100,000) مقاتل من مختلف الطوائف الدينية تحت إشراف طهران، كما نسجل ما بين 2011 وأوائل 2013 أي مع تدهور الأوضاع على الأرض أن إيران أرسلت أعضاء قوات إنفاذ القانون والقوات البرية في الحرس الثوري الإيراني لإسداء المشورة لدمشق إضافة لتدريب ودعم الجيش العربي السوري⁽⁷⁾، كما زودت إيران القوات الحكومية السورية والمليشيات الشيعية بالأسلحة الخفيفة والأسلحة الإستراتيجية المتطورة، بما في ذلك الصواريخ وقاذفات الصواريخ، والصواريخ المضادة للدبابات، إلى جانب جمع المعلومات الاستخباراتية حول الجماعات المتمردة، واستخدام الطائرات بدون طيار للقيام بضربات ضد هذه المجموعات قرب حلب، لقد نشطت قوات التحالف بقيادة إيرانية أساساً في محافظات حلب واللاذقية وحمص وحماه وإدلب وطرطوس.

3.1. مبررات الدعم العسكري:

لا يملك النظام الإيراني خيارات أخرى قابلة للتطبيق لتحقيق أهدافه في سوريا في ظل وضع النظام السوري المنهك والذي افتقد إلى القدرة على التخطيط بمفرده دون سند والقيام بعمليات عسكرية ناجحة دون مساعدة الإيرانيين، أدركت طهران مبكراً أن التنازل عن السيطرة العسكرية الكاملة للروس سيؤدي لا محالة إلى فقدان النفوذ الإستراتيجي في سوريا⁽⁸⁾.

إن تتبع منحى التدخل الإيراني في الأزمة السورية يوحي أن طهران تتواجد في موقع جيد للحفاظ على مشاركتها العسكرية وفقاً لأهدافها الاستراتيجية، فالجيش الإيراني في حالة إعادة تشكيل وانتشار في سوريا أثناء وقف إطلاق النار تدعمه روسيا وتركيا، على الرغم من أنه لم يتضح بعد ما إذا كانت إيران تعتزم مشاركة قواتها مرة أخرى في الخطوط الأمامية، إلا أن الثابت هو أن إيران تملك القدرة على الانتشار العسكري خارج حدودها الجغرافية، مع الدعم السياسي الداخلي للنشاط العسكري الإيراني في سوريا⁽⁹⁾.

كما نسجل أن استمرار إيران في تطوير أنموذجها الهجين للحرب في سوريا سيعزز من قدرتها على التعامل مع شبكة الوكلاء في المنطقة، فالجيش الإيراني -مثله مثل الجيش الروسي والأمريكي- يعتبر سوريا حقلاً تجريبياً لأساليبها الحربية، وهو ما سيسمح له بتكرار أنموذجه للحرب غير النظامية المختلطة مع خلاياه النائمة في حربه بالنيابة المماثلة في المسارح الأخرى⁽¹⁰⁾.

2. المحور الثاني: طهران تساند دمشق، طبيعة التحالف وأشكال الدعم

على مدى العقود الثلاثة الماضية اتسمت العلاقات الاستراتيجية بين إيران وسوريا بأنها فعالة وغير متعثرة ومؤثرة في منطقة الشرق الأوسط، كما تم اعتبار إيران وسوريا كمتغيرين مؤثرين وحليفيين استراتيجيين في المنطقة، خاصة في ظل فشل الجهود التي يبذلها الغرب لضرب هذه العلاقة الثنائية، إن عملية إزالة سوريا من المحور الإيراني قد أصبحت شبه مستحيلة فالتعاون الاستراتيجي بين البلدين لا رجعة فيه⁽¹¹⁾.

1.2. طبيعة التحالف السوري الإيراني:

أصبح التحالف بين إيران وسوريا أكثر وضوحاً منذ بدء الأزمة في سوريا، إنه يعكس المصالح المشتركة لكلا الدولتين، وقد عملت إيران على استخدام سوريا كخط حياة مضمون لدعم حزب الله في لبنان وقناة آمنة لشحن البضائع التجارية والعسكرية خاصة مع تشديد العقوبات على طهران، في المقابل كانت طهران قادرة على تقديم ضمانات أمنية لم يقدمها أي طرف لسوريا في أزمتها⁽¹²⁾، ويمكن القول أن إيران قد انتهجت تحالفاً استراتيجياً متعدد الأوجه مع سوريا؛ يتمشى مع الأركان الرئيسة الثلاثة لسياستها الخارجية:

- على جانبي "السيادة" و"الأمن القومي" تؤكد طهران أنها سترد بقوة على أي عدوان عسكري على سوريا، فأمن هذه الأخيرة يدخل ضمن نطاق الأمن القومي الإيراني⁽¹³⁾،
- كما تُعد "الأيدولوجية" الحافز الثاني لظهور الشراكة السورية-الإيرانية رغم أن إيران دولة دينية وسوريا بعثية، إلا أن الشراكة الإيرانية السورية تقوم على مجموعة من نقاط التشابه في مبادئ السياسة الخارجية، تتمثل أساساً في جبهة مكافحة الإمبريالية ومشاعر المعاداة للولايات المتحدة والغرب ودعم المقاومة الفلسطينية، ومعاداة مشتركة لنظام الرئيس "صدام" في العراق الذي اعتبر جزءاً من هذه الأيدولوجية بدلاً من توجهات تمليها حقائق الجغرافية-السياسية⁽¹⁴⁾.

2.2. حتمية الدعم السياسي:

صرح الاستاذ "برهان غليون" الرئيس السابق للمجلس الوطني السوري المعارض أن سوريا ما بعد "الأسد" ستعيد النظر في علاقاتها مع إيران وحزب الله والعمل على وقف إمدادات الأسلحة الإيرانية لحزب الله عن طريق سوريا،

أي أنه في حال قيام نظام جديد في سوريا فإن الجمهورية الإسلامية ستفقد الحليف العربي الأبرز وهمزة الوصل مع حزب الله⁽¹⁵⁾.

مقابل ذلك صرح الرئيس الإيراني "حسن روحاني" في 3 أغسطس 2013 يوم تنصيبه أن "تحالف إيران مع سوريا سيستمر؛ فضلا عن كون الأزمة السورية قد قدمت على طاولة المفاوضات النووية بين إيران والغرب"⁽¹⁶⁾، كما أكد وزير الدفاع الإيراني العميد "مصطفى محمد نجار" أن "إيران تعتبر أمن سوريا من أمنها ونرى قدرتنا الدفاعية في سوريا"⁽¹⁷⁾.

وفقا للتصور الإيراني فإن بعض الدول الإقليمية برئاسة المملكة العربية السعودية وقطر وبمساعدة من الولايات المتحدة وأوروبا ودولة الاحتلال الاسرائيلي تدعم المتمردين والمنشقين السوريين وتقوم بتجنيد الإرهابيين وتسمح لهم بدخول البلد، وعليه فايران ليس لديها خيار إلا دعم حليفاتها في مواجهة التهديدات الخارجية التي قد تطالها؛ في نفس الوقت تشدد إيران دائماً على أن سوريا الآن تدفع ثمناً باهظاً لكونها الوصلة الذهبية في سلسلة معسكر المقاومة المناهض للدولة العبرية، وأن الغرب يعمل على تعزيز جبهة زائفة من الاحتجاجات الشعبية الهادفة لانهاك الرئيس "الأسد" إزاء مواقفه الجريئة ضد دولة الاحتلال العبرية ويعجل بسقوطه ما سينهي حتماً "سوريا الممناعة"⁽¹⁸⁾.

لا خلاف في كون دولة الاحتلال العبرية تحتل أراضي سوريا وبعض الأراضي العربية وتهدد بضرب المفاعلات الإيرانية من جهة، ما يعني في الحسابات الجيوسياسية أن عدوان الطرف الأول يقتضي مقاومة رادعة من الطرف الثاني، خاصة أن التطورات التي عرفتها المنطقة بعد الغزو الأمريكي للعراق واختلال موازين القوى لصالح الدولة العبرية بفعل تزايد التواجد العسكري سواء الأمريكي أو المتعدد الجنسيات الموالي لدولة الاحتلال، دفع بإيران إلى تشكيل قوة إقليمية تستجيب إلى حجم هذه التحديات؛ هكذا تشكل العلاقة السورية الإيرانية أساس هذه القوة الرادعة⁽¹⁹⁾، إذ ينطلق صانع القرار الإيراني في دعمه السياسي للنظام السوري من قناعة مفادها أن "التحالف

السوري-الإيراني" سوف يحول دون تجسيد المشروع الأمريكي في منطقة الشرق الوسط، ومن ناحية أخرى تدرك إيران أن التحالف السوري الإيراني وحماس في فلسطين وحزب الله في لبنان يشكل جبهة موحدة في مواجهة ليس سياسات إسرائيل في المنطقة فحسب بل سيمتد إلى مواجهة كل من السعودية وتركيا⁽²⁰⁾.

رغم ما تقدم إلا أنه وعلى المدى الطويل هناك العديد من المصادر المحتملة للتوتر الذي يمكن أن يضعف التحالف السوري الإيراني؛ وفي هذا الصدد، تمثل الفجوة الطائفية المشكلة من الأغلبية السنية في سوريا مقابل الأغلبية الشيعية في إيران مجالا رئيسا للاختلاف، مما يجعل النظام السوري القائم وفي سبيل الحفاظ على هذه العلاقة الإستراتيجية لا يعترض على المحاولات الإيرانية لتعزيز النفوذ الشيعي الديني والثقافي في الشام⁽²¹⁾، في هذا الصدد يمكن الرجوع إلى كل من وزير الدفاع الإيراني "علي شمخاني" و"محسن رضائي" القائد السابق للحرس الثوري الإيراني اللذين صرحا أن هدف إيران هو تطهير سوريا من "الإرهابيين والتكفيريين" وهو مصطلح شائع يستخدم في إيران للإشارة إلى الجهاديين في العراق وسوريا⁽²²⁾.

3. المحور الثالث: خلفيات التدخل الإيراني في سوريا؛ المصالح والاهداف

تعتبر العربية السورية حليفاً هاماً للجمهورية الإسلامية الإيرانية فسوريا هي الدولة العربية الوحيدة التي دعمت إيران خلال السنوات الثمانية من الحرب الإيرانية-العراقية (1980-1988) وقد عززت قيادتها العلوية والمزارات الشيعية الهامة العلاقة الإستراتيجية بين البلدين.

لقد مثل التعامل مع الأزمة في سوريا أول تحدي حقيقي للسياسة الخارجية الإيرانية حيث الإستعانة بالحرس الثوري خارجيا يعتبر إختبارا أساسيا لقدراته، إلا أن وصول الرئيس "حسن روحاني" للسلطة العام 2013 شكل فرصة في نظر الغرب "بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية" وحلفائها في دول الخليج العربي للانفراج في المنطقة، إلا أن الرئيس "روحاني" واجه

معارضة قوية من جانب الحرس الثوري الإسلامي ومكتب " المرشد العام " ضد الانفراج لصالح التصعيد فتم استخدام مصطلح المقاومة في خطابات "روحاني" الذي اعتبر سوريا خط المواجهة في الحرب ضد الإرهاب ومجموعات التكفيرين⁽²³⁾.

هكذا تبينت منطلقات موقف صانع القرار الإيراني في عهد "روحاني" من خلال:

- المرحلة الأولى التي أكدت الإجماع الداخلي على الاستراتيجية المنتهجة في سوريا مع التشديد على الطابع البيروقراطي لعملية صنع القرار، حتى لو كان الحرس الثوري الإيراني هو صانع القرار الرئيس والحجة أن يتم استثمار جميع عناصر المؤسسات السياسية في السلطة العليا لتقديم موقفا أكثر توافقية⁽²⁴⁾،
- المرحلة التالية تمثلت في توسيع نطاق المناقشة وتأطير الصراع في سوريا كجزء من صراع إيديولوجي أوسع (مدفوعة جزئيا بالتوترات العرقية والطائفية) والمنافسة الجيوسياسية مع المملكة العربية السعودية لاحتواء استياء الرأي العام من التدخل في سوريا، إضافة الى إرتقاء القيادة الإيرانية في صورة "قاسم سليمان" إلى حالة المشاهير وبالتالي استبعاد المشككين والمعارضين لزيادة الوجود السياسي العسكري والاقتصادي في سوريا⁽²⁵⁾.

تفسر القيادة الإيرانية السياسات التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في أوروبا والشرق الأوسط فيما يتعلق بالأزمة السورية كجزء من خطة لتفكيك "محور المقاومة" في المنطقة بالإطاحة بدمشق وطهران، لقد عززت التحركات الغربية لعزل إيران إدراك صناع القرار في طهران بضرورة اتخاذ موقف حاسم، فإيران تدرك أن الجهود المتضافرة من طرف أعدائها داخل المنطقة وخارجها ليس لإسقاط النظام في دمشق وإنهاء تحالفها مع

طهران، ولكن هو جزء من استراتيجية عزل جمهورية إيران الإسلامية بغية الإطاحة بها⁽²⁶⁾.

1.3. الخلفية الدينية:

إيران هي الطرف الإقليمي الوحيد الذي يثق به النظام السوري القائم منذ بداية الأزمة فطهران هي أكثر من مجرد لاعب إقليمي مؤثر؛ إنها متواجدة على أرض الواقع واستطاعت المحافظة على عامل توازن القوى في سوريا الذي شكل مصدر قلق رئيس في السياسة الخارجية لإيران⁽²⁷⁾.

من جهتها تخشى طهران ظهور الهلال السني الموالي للغرب والمناهض لإيران الشيعية، هذا الهلال وفي حال بعثه سيرتبط ارتباطاً وثيقاً بمنافسين إقليميين لطهران، وسيمتد من تركيا إلى سوريا والأردن والعربية السعودية والإمارات، هكذا تقدم النخبة العلوية الحاكمة في دمشق ضماناً لطهران، فالعلويون كانوا قد سعوا للوصول إلى توازن القوى بين الاعتراف بانتمائهم الشيعي والحفاظ على الهوية الإثنية والثقافية العلوية، ومن هنا كانت أهمية العلاقة مع شيعة إيران ولبنان على حد سواء، فصلة الشيعة العلوية لعبت دوراً مهماً في تطور العلاقات الإيرانية السورية ويمكن النظر إليها كأحد المحركات الرئيسة في استمرار التحالف بين الدولتين والتأسيس لنقطة تقاطع هامة بين العنصر الاجتماعي المدني للعلاقات الشيعية العلوية والمصالح الاستراتيجية لكل من سوريا وإيران⁽²⁸⁾.

لا خلاف في كون المحور السوري الإيراني هو جزء مهم من الهلال الشيعي خاصة بعد سقوط نظام الرئيس "صدام حسين" في العراق واعتلاء الشيعة الحكم في بغداد تحت ولاية أمريكية، لا يتوقف الأمر على البعد السياسي فقط فهناك تقارب مذهبي بين الطائفة العلوية وباقي الشيعة، ورغم أن المذهب السني هو السائد وسط أغلبية الشعب السوري، إلا أن بعض العوامل ساعدت على انتشار التشيع في سوريا أعقاب قيام الثورة الإيرانية، إن انتماء القائمين على النظام السوري للطائفة العلوية ربط سوريا بالمحور الإيراني سياسياً وفتح

الأبواب أمام حملات التشجيع داخل سوريا ووسع من منح الجنسية لكل من العناصر الإيرانية والعراقية⁽²⁹⁾.

لم يغيب البعد الديني عن الموقف الإيراني من الأزمة السورية حيث تظهر الصبغة الدينية في الفتوى التي أصدرها المرشد الأعلى للثورة "علي خامنئي" والتي مفادها أن الحراك الشعبي السوري عمل من تدبير الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ضد النظام السوري الممانع والصامد في وجه الإمبريالية المعادية للإسلام⁽³⁰⁾، إذ كشف ممثل المرشد الأعلى في الحرس الثوري "علي سعيد" في سبتمبر 2017 عن ثلاث خطوط حمراء بالنسبة لإيران هي⁽³¹⁾:

• حماية المراكز الشيعية،

• الحفاظ على سوريا في جبهة المقاومة،

• الحفاظ على شخص الرئيس "بشار الأسد".

يبدو جليا أن إيران تخشى من سيطرة كلا من السعودية وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية في حال سقوط النظام الحالي، ما يعقد عملية ضمان أمن حزب الله ودعمه في لبنان والدور الذي يقوم به في الحدود السورية، هذا السيناريو يعني أنه بالنسبة لإيران فإن كل من سوريا وحزب الله هما ورقتا ضغط في مواجهة الدولة العبرية والغرب لتحقيق أهدافها الإقليمية والدولية⁽³²⁾، ويظهر ذلك في تصريح "علي ولايتي" مستشار السياسة الخارجية للمرشد الأعلى أن "أي اعتداء على سوريا يعتبر إعتداء على إيران"⁽³³⁾.

هكذا تعتبر إيران المواجهة في سوريا متغيرا حاسما لإعادة تشكيل الشرق الأوسط وتنمية دورها الإقليمي تحت شعار مقاومة الوجود الغربي والكيان الصهيوني من جهة؛ والتنسيق بصورة متزايدة مع روسيا التي تقوم بدور كايح على التدخل الدولي من جهة أخرى⁽³⁴⁾.

2.3. الخلفية الجيوسياسية للتدخل الإيراني:

تبرر إيران سياستها التدخلية بأن أمنها القومي يفرض عليها محاربة التنظيمات الجهادية في سوريا قبل أن تضطر إلى محاربتها على أراضيها، فالمصالح الرئيسة لإيران في سوريا جغرافية سياسية أكثر منها إيديولوجية؛ فلا يخفى أن النظام الإيراني مناقض للنظام العلماني في سوريا، إلا أنه لم يمنع من بناء تحالف طويل الأمد -محور المقاومة- للوجود الأمريكي والصهيوني في المنطقة، جنباً إلى جنب مع حركة حماس وحزب الله، حتى وإن وجد تنافس في بعض مراحل هذا التحالف إلا أنه لم يكن على نفس الدائرة، خلافاً للتنافس الإيراني السعودي على الشرعية الإسلامية في المنطقة⁽³⁵⁾.

تاريخياً تمثل سوريا الحليف الوحيد للإيران في الجوار منذ انتصار الثورة الإسلامية عام 1979، وتظهر الأهمية السياسية والأمنية في كون سوريا تمثل معبراً لوجستياً لدعم حزب الله في لبنان، لا يلعب هذا الأخير دوراً في الحرب على دولة الاحتلال العبرية وممارسة الردع ضدها فقط وإنما تمتد أهميته بالنسبة لإيران في تعزيز النشاط الاستخباراتي عبر المؤسسات التي يديرها الحزب على المستوى الإقليمي والدولي⁽³⁶⁾.

لا ترغب إيران في إنهاء وجود تنظيمات داعش والقاعدة والنصرة بشكل كلي رغم أنها تمثل التهديد الجدي للنظام السوري القائم، إن وجود الدويلات الجهادية غرب العراق وشرق سوريا ليس تهديداً لإيران فقط وإنما لكامل منطقة الشرق الأوسط واستمرار التهديد الداعشي لنظامي دمشق وبغداد يفرض الاعتماد على إيران والسماح لطهران بالتدعم في العراق والأراضي السورية للمحافظة على جسر "حزب الله الشيعي اللبناني" والعمل على إعطاء نوع من الشرعية الدولية للنظام السوري وتبرير التدخل الإيراني⁽³⁷⁾.

قد تهدف إيران من خلال هذه الاستراتيجية إلى إطالة أمد النزاع وتهيئة الظروف لضمان تواجدها بعد انفراج الأزمة السورية⁽³⁸⁾، إنها تسعى للمحافظة على الوضع الراهن -ديمومة النظام السوري- وتصدير الأفكار والقيم الإيرانية والمحافظة على مصالحها من خلال دعم حلفائها -الشيعية خاصة- والضلوع

بدور مركزي في رسم ملامح الخارطة السياسية وعملية توزيع مراكز القوة في منطقة الشرق الأوسط⁽³⁹⁾.

كما تهدف إيران من خلال التواجد في سوريا للمحافظة على ممر آمن للإمداد والإسناد بالأموال والأسلحة والعتاد عبر سوريا لقواعد حزب الله في لبنان بغية محافظته على قدراته الهجومية ضد الكيان الصهيوني بالصواريخ الإيرانية، وهي أداة ردع تستعملها إيران في حال شن غارات على مرافقها النووية⁽⁴⁰⁾.

إن اقتراب إيران وملبشياتها من هضبة الجولان المحتلة يهدف لتثبيت تواجدها العسكري واستخدام الهضبة كجبهة ثانية ضد الدولة العبرية في حال نشوب حرب، فبينما "تحاول إسرائيل أن تصل إلى حدود إيران عبر كردستان العراق ستصل إيران إلى الحدود الدولة العبرية عبر سوريا؛ فخط مقدمة الجبهة لإيران ودولة العبرية بدلا من أن يصبح كردستان أصبح حاليا الجولان السوري"⁽⁴¹⁾.

3.3. استراتيجية تغيير البنية الديمغرافية في سوريا:

لم يعد خفيا أن أحد الدوافع الأساسية المحفزة للتدخل الإيراني ووكلائه الشيعة في سوريا هو الخوف من أن تؤدي الإطاحة بالنظام الحالي في سوريا إلى تهديد وجودي للمذهب الشيعي، وهو خوف تشجع عليه طهران وتبني له شبكات إجتماعية ودينية تتمحور حول المذهب الشيعي وتدعم تصدير قيمه من خلال الدعم التقني والإستخدام المتطور للدعاية السياسية، هكذا تعمل إيران على تضخيم صوت وكلائها الذين يتيحون لها المجال لتشكيل الحكومات في نهاية المطاف وتسوية النزاعات ومنه التحكم بالسياسات السورية⁽⁴²⁾.

إستفادت إيران من الأحداث الجارية لتتدخل بشكل مباشر وصريح في شؤون الدولة السورية، سمحت هذه الأحداث بتنفيذ عملية التغيير الديمغرافي في سوريا لتتدخل ضمن نطاق النفوذ الإيراني، فالدول التي تحوي أقليات شيعية تسهل عملية بناء ارتكازات سياسية ومذهبية تسهم في التمدد السياسي والمذهبي،

ومن ثم تؤمن إيران مجالها الحيوي بحيث تمثل هذه المجموعات خلايا تهدد بها الدول العربية، فالأقليات الشيعية تشكل المصدات الدفاعية الجيوبولوتيكية وتساعد على تمدد المجال الحيوي الإيراني كما لاحظناه في اليمن والبحرين⁽⁴³⁾. بالإضافة إلى الشيعة العرب في سوريا تتمركز الجالية الإيرانية الشيعية في دمشق، كما شكلت سوريا ملجأ شيعة العراق الذين توافدوا بشكل كبير في الفترة الممتدة من الثمانينات إلى غاية بداية الألفية، ليزداد هذا التوافد إبان الغزو الأمريكي وما رافقه من تدهور الأوضاع الأمنية والاجتماعية والاقتصادية وطغيان الاقتتال الطائفي في العراق، في هذا الصدد تشير تقديرات مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إلى أن عدد العراقيين اللاجئين في سوريا بلغ حوالي ثمان مائة (800) ألف وتتركز الطائفة الشيعية عامة في دمشق وحلب وحمص⁽⁴⁴⁾.

لقد شهدت سوريا منذ بداية الأزمة موجة من عمليات الشراء التي قام بها تجار إيرانيون لمساحات كبيرة من العقارات السورية في عدد من المدن، بالدرجة الأولى وسط العاصمة دمشق ووسط مدينة حمص، بالإضافة إلى أملاك خاصة من الفارين من سوريا منذ منتصف العام 2016، بالإضافة إلى جهود السفارة الإيرانية لشراء عقارات في أحياء تاريخية في دمشق القديمة في المنطقة التي تمتد من الجامع الأموي إلى باب توما، واشترت طهران عدداً كبيراً من المنازل مع مساحات من العقار، في منطقة مقام السيدة زينب غرب العاصمة؛ والتي عمل حزب الله على تحصينها بشكل كبير واستخدامها كعازل أمني، كما سكنتها عائلات الحركة الإسلامية الشيعية اللبنانية التي انتقلت إليها منذ أواخر العام 2012.

هذه العناصر مجتمعة ضاعفت التوترات الطائفية وغذت خطة التغيير الديمغرافي من خلال مجموعة من الآليات التي تم اعتمادها على الأرض السورية والمتمثلة في:

- هجرة السكان الأصليين طوعية وقسرا،
- انتشار الإعتقال والقتل والتعذيب حسب المنظمات الدولية،
- الحصار والخوف من التجنيد،
- القصف العشوائي ضد المناطق المدنية التي توغل فيها الإرهابيون.

لقد أدت الأزمة في سوريا إلى تهجير الساكنة وإبعادها عن أراضيها مثلما حدث في مدينة داريا الاستراتيجية، وسيتم إحلال السكان الوافدين من عائلات المقاتلين من حزب الله والحرس الثوري والمليشيات الشيعية محل السكان الأصليين، ويظهر ذلك في حي "بيروود" الذي تحول اسمه إلى حي الزهراء بعد أن استقر فيه مقاتلو حزب الله وعائلاتهم⁽⁴⁵⁾.

في أماكن أخرى من سوريا تعمل المقايضات الديموغرافية أيضاً على إعادة تشكيل النسيج الجيوسياسي للمجتمعات التي تعايشت قبل الحرب لقرون من الزمان، في داريا جنوب غرب دمشق توغلت أكثر من ثلاث مائة (300) عائلة شيعية عراقية في أحياء هجرها المتمردون في 2017 كجزء من صفقة استسلام، وتم نقل ما يصل إلى سبعمائة (700) مقاتل متمرد إلى إقليم إدلب وأعلنت وسائل الإعلام الحكومية خلال أيام أن مهاجرين عراقيين قد وصلوا المنطقة⁽⁴⁶⁾.

هكذا يمكن القول أنه مستقبلاً وبعد التغيير الديمغرافي سيتم تأسيس ولاءات سكانية ضخمة لإيران التي تستغل الحرب في البلد لتنتسل للعمق السوري ديمغرافياً ومجتمعياً وسياسياً واقتصادياً مما يهدد سوريا للتحول من حليف استراتيجي إلى تابع منصهر للنظام الإيراني⁽⁴⁷⁾.

الخاتمة

يخضع الدور الإيراني في الأزمة السورية إلى منطق النظرية الصفرية، فصناع القرار الإيرانيين يدركون ارتباط مصالح طهران المتجسدة في الأمن القومي الإيراني ومشروعها في الشرق الأوسط بمصير النظام السوري الذي

تعتبره طهران من الركائز الداعمة لدورها الإقليمي في المنطقة، فالتحالف الإيراني السوري يعد أول إختراق فارسي للنظام القومي العربي إبان الحرب العراقية الإيرانية، ليشكل النظام السوري ورقة ضغط لصالح الإستراتيجية الإيرانية في مواجهتها مع القوى الإقليمية والدولية.

هكذا تعتبر إيران سوريا إستثمارا دام ما يقارب أربعة عقود من الزمن هدفه تشكيل محور إقليمي ذي أبعاد دولية يتمثل هذا المحور الجيوسياسي على الشكل التالي "العراق- سوريا- لبنان"، وبالتالي سيطرة شبه تامة على ما يعرف بالهلال الخصيب بدلالته الحضارية والقيمية والدينية والنفوذ المباشر إلى القضية الفلسطينية بسيطرتها على معظم دول الطوق وإنهاء الوصاية العربية على القضية الفلسطينية وقطع الطريق على الفاعل الإقليمي الآخر وهو الجانب التركي والتطورات السياسية التي تعيشها المنطقة تثبت تراجع الدور الإقليمي لكل من السعودية وتركيا لصالح إيران.

كما ترى إيران أن الأزمة السورية هي مواجهة إقليمية تضمن التحالفات الدولية المستقبلية خاصة في ظل الطموح الإيراني بلعب دور دولي تنزع فيه القطب الإسلامي، فالتحالف الإيراني الروسي في نظر صانع القرار الإيراني مرهون بما ستؤول إليه الأزمة السورية التي تضمن لإيران بناء محورها الإقليمي، وبالتالي تستعمل إيران الورقة السورية في بناء تحالفاتها الدولية "روسيا والصين" وتقدم نفسها على أنها الوحيدة التي تضمن أمن الشرق الأوسط وفق نظرة برغماتية موحدة مع روسيا والصين فتؤثر على سير المفاوضات مع الغرب فيما يخص ملفها النووي وتدير العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها.

الهوامش والإحالات:

¹ راجع: دستور جمهورية إيران الإسلامية الصادر عام 1979 المعدل عام 1989.

² Paul Bucala, Iran New Way Of War In Syria, A Report By The Critical Threats Project Of The American Enterprise Institute And The Institute For The Study Of War, Februarys 2017.

http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Iran%20New%20Way%20of%20War%20in%20Syria_FEB%202017.pdf

³ Iran in Syria "From an Ally of the Regime to an Occupying Force, Naame Shaam, 1st Edition, September 2014, p06.

⁴ Ibid.

⁵ Will Fulton Joseph Holliday and Sam Wyer, Iranian strategy in syria, Institute for the Study of War, A joint Report by AEI's critical threats project, 2013, p25.

⁶ Nader Ibrahim M. Bani Nasur, Syria-Iran Relations (2000-2014), International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 4, No. 12; October 2014, p 83.

⁷ Aniseh Bassiri Tabrizi and Raffaello Pantucci , Understanding Iran's Role in the Syrian Conflict, Royal United Services Institute for Defence and Security Studies, August 2016, p4 .

⁸ Paul Bucala, Iran's new way of war in syria, institute for the study of war, february 2017 .in: www.understandingwar.org

⁹ Ibid .

¹⁰ Ibid.

¹¹ Abdul Hamid Al Eed Al-Moussawi, Iran and the Syrian Crisis, Journal of US-China Public Administration, March 2017, Vol. 14, p 140.

¹² Sara Bazoobandi, iran's regional policy: interests, challenges and ambitions, Analysis No. 275, November 2014, p40.

¹³ Ibid.

¹⁴ Jonathan Gelbart, The Iran-Syria Axis: A Critical Investigation, Stanford Journal International Relation, Vol 42, N1, 2010, p 39.

¹⁵ David H. Gray , Syria, Iran, and Hizballah: A Strategic Alliance, Global Security Studies, Winter 2014, Volume 5, Issue 1, p 33 .

¹⁶ Ibid.

¹⁷ Ibid.

¹⁸ Michael Segall, The Role of Iranian Security Forces in the Syrian Bloodshed, Jerusalem Viewpoints, No. 589 May-June 2012 .

¹⁹ موسى الغرير، إيران والعرب: العلاقات العربية - الإيرانية ؛ السورية - الإيرانية نموذجاً"، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسية، 2012، ص 180.

²⁰ ممدوح الجازي، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية اتجاه المنطقة العربية 2003-2011، الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2014، ص 84.

²¹ Mona Yacoubian, Syria's Alliance with Iran, united states institute of peace P, 2007.

²² Martin Chulov, Saeed Kamali Dehghan and Patrick Wintour, Iran hails victory in Aleppo as Shia militias boost Syria's Bashar al-Assad, theguardian, 15 December 2016 . in :

<https://www.theguardian.com/world/2016/dec/14/iran-aleppo-syria-shia-militia>

²³ Aniseh Bassiri Tabrizi and Raffaello Pantucci, op. cit., p04.

²⁴ Ibid.

²⁵ Ibid.

²⁶ Jubin Goodarzi, Iran and Syria at the Crossroads: The Fall of the Tehran-Damascus Axis?, Wilson Center, Middle East Program, Viewpoints No. 35, 2013, p6.

²⁷ كريم سجادبور، إيران حليف سورية الإقليمية الوحيد، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، يونيو 2014، على الرابط: <https://carnegie-mec.org/2014/06/09/ar-pub-55878>

²⁸ ممدوح محمد بريك محمد الزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 129.

²⁹ المرجع نفسه، ص 130.

³⁰ السيد أبو داود، مرجع سبق ذكره، ص 280.

³¹ مركز الخليج العربي لدراسات الإيرانية، إيران وجولة السادسة من محادثات أستانة، تقرير الحالة الإيرانية، سبتمبر 2017، ص 47.

³² Kenneth Katzman, Iran's Foreign Policy, Congressional Research Service, January 29, 2016, p14.

³³ Mona Yacoubian, Syria's Alliance with Iran united, states institute of peace, May 2007.

³⁴ Michael Segall, op. cit.

³⁵ Jane Kinninmont, The Syria Conflict and the Geopolitics of the Region, IEMed. Mediterranean Yearbook, 2014, p 51.

³⁶ نجلاء مكاي، يحي صهيبي، تامر بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 247.

³⁷ Kyle Orton, How the Iran Entente Caused the Syria Crisis, Centre for the New Middle East, Policy Paper, No. 10, 2016.

³⁸ Will Fulton Joseph Holliday and Sam Wyer, op. cit, p 27.

³⁹ فؤاد كمين، توجهات تركيا وإيران في الشرق الأوسط سياسات ومصالح، مركز الإمارات لدراسات والبحوث الإستراتيجية : سلسلة محاضرات الإمارات، 2014، ص 28.

⁴⁰ Larry Hanauer, Israel's Interests and Options in Syria, RAND, 2016.in: https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE185/RAND_PE185z1.arabic.pdf

⁴¹ مركز الخليج العربي لدراسات الإيرانية، مرجع سبق ذكره، ص 47 .

⁴² رانج علاء الدين، كيف استخدمت إيران نموذج حزب الله للهيمنة على العراق وسوريا، مركز بروكنجز الدوحة، مارس 2018 .

<https://www.brookings.edu/ar/opinions/%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7/>

⁴³ الصياد محمد السيد، تغيير الديموغرافيا والهوية في سوريا والعراق، مجلة الدراسات الإيرانية، مركز الخليج العربي لدراسات الإيرانية، العدد الثاني، مارس، 2017، ص 123 .

⁴⁴ سركيس أبو زيد، إيران والمشرق العربي مواجهة أو تعاون؟، مركز التنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2010، ص 201 .

⁴⁵ المرجع نفسه.

⁴⁶ Martin Chulov, Iran repopulates Syria with Shia Muslims to help tighten regime's contro, The Guardian , Jan 2017. in : <https://www.theguardian.com/world/2016/oct/08/iran-iraq-syria-isis-land-corridor>

⁴⁷ الصياد محمد السيد، مرجع سبق ذكره، ص 132 .